

حكمة النحاة

جاء رجل يمتحن الخليل بن أحمد الفراهيدي بمسألة، فجعل يفكر ويطيل التفكير وأبطأ في الجواب، فأعجب الرجل بنفسه وقال للخليل متفاخراً متباهياً: لِمَ تكثرُ التأمل فليس في هذه المسألة من الصعوبة ما يستدعي إطالة النظر؟ فقال الخليل: لقد عرفت مسألتك وجوابها، وإنما أفكر في جواب أسرع لفهمك، فأبقيت نفسي بما قصدت إراحتك به، فخرج الرجل وانصرف.

وسأل ثعلب النحوي صديقاً له: هل الطيبي معرفة أم نكرة؟ فقال: تسألني وأنت إمام النحو، فقال: إنما أريد جوابك، فقال: إن كان الطيبي مشوياً على المائدة فهو معرفة، وإن كان نافراً في الصحراء فهو نكرة وأي نكرة!.

وقف على باب نحوي أحد الفقراء فقرعه فقال النحوي: من بالباب؟ فقال: سائل.
فقال النحوي: لينصرف.

فقال الفقير مستدركاً: اسمي أحمد وهو اسم لا ينصرف في النحو.
فقال النحوي لغلامه: أعط سيبويه كسرة.

ورأى أحد النحاة رجلاً ضريراً، يسأل الناس قائلاً: ضعيفاً مسكيناً
فقيراً ضريراً، فقال له: يا هذا، علام نصبت ضعيفاً مسكيناً
فقيراً ضريراً؟ فقال الرجل: بإضمار ارحموا، فأخرج النحوي كل
النقود التي معه، فأعطاهما للرجل الضرير لحسن ما سمعه.

كان بعضهم ولد نحوي يتقعر في كلامه فمرض أبوه مرضاً شديداً
أشرف فيه على الموت فاجتمع عليه أولاده وقالوا له: ندعو لك
أخانا فلاناً النحوي؟

قال: لا، إن جاني قتلني، فقالوا: نوصيه ألا يتكلم، فلما دخل
عليه قال: يا أبت والله ما أشغلني عنك إلا فلان فإنه دعاني
بالأمس فأهرس، وأعدس واستبذج، وسكج، وطهيج، وأفرج،
ودجج، وأبصل، وأمضر، واودج وافلوزج. فصاح أبوه: غمضوني
فقد سبق الشقي ملك الموت إلى قبض روحي.

ومر أبو علقمة بأعدال قد كتب عليها: رب سلم لأبوفلان، فقال لأصحابه:
لا إله إلا الله! يلحنون ويربحون.

وقع نحوي في كنيف، فجاء كتّاس ليخرجه، فصاح به الكتّاس ليعلم
أهو حي أم لا، فقال له النحوي: اطلب لي حبلاً دقيقاً وشدني

شداً وثيقاً واجذبني جذباً رقيقاً، فقال الكناس: امرأتي طالق
إن أخرجتك منه، ثم تركه وانصرف.

عاد بعضهم نحويّاً فقال: ما الذي تشكوه؟ قال: حمى جاسية نازها
حامية منها الأعضاء واهية والعظام بالية فقال له: لا شافاك
الله بعافية يا ليتها كانت القاضية.

روى أن رجلاً قصد سيبويه لينافسه في النحو فخرجت له
جارية سيبويه، فسألها قائلاً: أين سيدك يا جارية؟ فأجابته
بقولها: فاء إلى الفيء، فإن فاء إلى الفيء فاء. فقال: والله إن
كانت هذه الجارية فماذا يكون سيدها ورجع.

عمل بعض النحويين كتاباً في التصغير، وأهداه إلى رئيس كان
يختلف إليه، فنقص عطيته، فصنّف كتاباً في العطف، وأهداه
إليه، وكتب معه: رأيت باب التصغير قد صغرني عند الوزير،
أرجو أن يعطفه على باب العطف.

قال ابن الجوزي: لقي نحويّاً رجلاً، وأراد الرجل أن يسأله عن
أخيه، وخاف أن يلحن، فقال أخاك أخيك أخوك ها هنا؟!
فقال النحوي: لا لي لو ما حضر.

قدم علي بن علقمة النحوي ابن أخ له فقال له: ما فعل أبوك؟ قال: مات. قال: وما كانت علته؟ قال: ورمت قدميه. قال: قل: قدماه. قال: فارتفع الورم إلى ركبته. قال: قل: ركبتيه. فقال: دعني يا عم، فما موت أبي بأشد علي من نحوك هذا.

دخل أحد النحويين السوق ليشتري حماراً فقال للبائع: أريد حماراً لا بالصغير المحتقر ولا بالكبير المشتهر، إن أقللت علفه صبر وإن أكثرته علفه شكر، لا يدخل تحت البواري ولا يزاحم بين السواري، إذا خلا في الطريق تدفق وإذا أكثر الزحام ترفق. فقال له البائع بعد أن نظر إليه ساعة: دعني إذا مسح الله القاضي حماراً بعته لك.

قصده رجل الحجاج بن يوسف فأنشده:

أبا هشامٍ ببابك قد شم ريح كبابك

فقال: ويحك! لم نصبت: أبا هشام؟

فقال: الكنية كنييتي، إن شئت رفعتها، وإن شئت نصبتها.

قال أبو بكر محمد بن عبد الباقي البزار: قال رجل لرجل: قد عرفت النحو إلا أنني لا أعرف هذا الذي يقولون: أبو فلان وأبا فلان وأبي فلان؟

فقال له: هذا أسهل الأشياء في النحو...

إنما يقولون:

أبا فلان.. لمن عظم قدره.

وأبو فلان.. للمتوسطين.

وأبي فلان.. للردلة.

قال الأصمعي: سمعت مولى لآل عمر بن الخطاب رضي الله عنه يقول:

أخذ عبد الملك بن مروان رجلاً كان يرى رأي شبيب الخارجي

فقال له عبد الملك: أأنت القائل؟

ومنا سويد والبطين وقعب ومنا أمير المؤمنين شبيب

فقال الرجل لم أقل هكذا، وإنما قلت: ومنا أمير المؤمنين شبيب

بنصب الرء على النداء المضاف. فكان تقديره ومنا يا أمير

المؤمنين شبيب. فنفي يومئذ الخلافة عن شبيب الخارجي،

والخبر مشهور، فاستحسن عبد الملك حضور ذهنه وحسن

اعتذاره فأطلقه.

ذكر الشيخ محمد بن إبراهيم الحمد في شرح متن «قطر الندى وبل

الصدى» قصة لطيفة وقعت بين أحد الأمراء، وكان اسمه داود

وبين أئمة النحو في عصره، فكل من كلمه منهم أدخله السجن،

وذلك بسبب عدم تمكنهم من إجابته جواباً مقنعاً عن سؤاله

المتمثل في قوله: لماذا يضرب زيد عمر دائماً؟ فكلهم قال: تمثيلاً فقط و جرياً على ما اعتدناه من مشايخنا، فلما دخل عليه آخرهم وكان شديد الذكاء وعلم أن مراد الأمير سجن الأئمة لا غير، وإنما أورد عليهم ذاك السؤال تعجيزاً لهم، فقال الإمام النحوي: أنا أجيبك لكن بشرط. فقال الأمير: شروطك منفذة بعد الجواب. فقال له الإمام النحوي: إننا نجعل عمر مضروباً دائماً لأنه سرق حق غيره. فتعجب الأمير وقال: ما الذي سرق؟ فقال الإمام: لقد سرق الواو من داود؛ فإن داود حقه أن يكتب بواوين؛ لأنها تنطق عند ذكره خلافاً لعمرو فإنه ينطق دون الواو ولكن يكتب بها فتعجب الأمير، وقال: ما طلبك؟ قال سراح أئمة النحو الذين في سجنك، فأطلق سراحهم ولهذا يقال إن النحوي لا يُخطئ لأنه يجد مخرجاً بتأويلاته.

وقد نظمها أحدهم قائلاً:

إِنَّمَا كَانَ ضَرْبُ زَيْدٍ لِعَمْرٍو	فِي كَلَامِ النَّحَاةِ نَثْرًا وَنَظْمًا
إِنْ دَاوُدَ قَالَ يَا زَيْدُ عَمْرُو	أَخَذَ الْوَاوَ مِنْ حُرُوفِ ظَلَمًا
فَاجْتَهَدَ فِي خِلَاصِ حَقِّي مِنْهُ	وَاضْرِبْنِي عَلَى التَّمَادِي حَتْمًا

وسأل نحوي تلميذه - وكان التلميذ يومها مغموماً -: كيف الحال؟ فأجاب التلميذ: إن كانت الحال التي علمتنا فممنصوبة، أما حالي فمكسورة.

وفي الغد سأله: يا تلميذ ألم تتصب حالك بعد؟ فأجاب: هي

اليوم مرفوعة. -أي ذهب عنه الغم-، فقال النحوي: لم تعد بهذا حالاً. فأجاب التلميذ: بل هي حال جاءت جملة فعلية فعلها مضارع. فدهش النحوي وقال له: أنت اليوم أنحى مني والله.

وقيل: قدم العريان بن الهيثم على عبد الملك، ف قيل له: تحفظ من مسلمة فإنه يقول: لأن يلقيني رجل بحجر أحب علي من أن يسميني رجل لحناً، فأتاه العريان ذات يوم فسلم عليه. فقال له مسلمة: كم عطاءك؟ قال: ألفين. فنظر إلى رجل عنده وقال له: لحن العراقي، فلم يفهم الرجل عن مسلمة، فأعاد مسلمة القول على العريان وقال: كم عطاؤك؟ فقال: ألفان. فقال: ما الذي دعاك إلى اللحن أولاً والإعراب ثانياً؟ قال: لحن الأمير فكرهت أن أعرب، وأعرب فأعربت. فاستحسن قوله وزاد في عطائه .

